

## الباب الرابع

# مدارس قديمة وجديدة

### (٧٨) تمهيد

(أ) في هذا الباب نجمال القول في الحركة الفلسفية من أوائل القرن الرابع قبل الميلاد إلى أواخر القرن الخامس بعده، نعود إلى ذلك الوقت الذي تفرق فيه أصحاب سقراط؛ لنؤرخ مدارس تأثرت به وأسُميت باسمه، عاصرت الأكاديمية واللوقيون وعارضتهما فمهدت السبيل لمدارس الدور الثالث والأخير من أدوار الفلسفة اليونانية، وهو دور امتاز بانتشار الثقافة اليونانية في بلدان البحر المتوسط بعد وفاة الإسكندر وتَجَزُّؤْ ملكه، فتعارف فيه العالم اليوناني والعالم الشرقي وتأثر كل منهما بالآخر وشارك الشرقيون ولا سيما الساميون منهم في العلم والفلسفة، وقامت في الشرق حواضر علمية جديدة في مقدمتها الإسكندرية وبرغاما ورودس مع بقاء أثينا مركز الفلسفة، ولكنه دور تناقص فيه الإبداع الفلسفي وعكف رجاله على تجديد المذاهب القديمة مع عناية خاصة بالأخلاق تبعاً لموقف سقراط ولل فكرة الأساسية عند أفلاطون، فجدد أبيقوروس مذهب ديموقريطس، وجدد الرواقيون مذهب هرقليطس، وكأن العقول قد شاخت والنفوس تراخت فضعفت الثقة بالعقل ونبت مذهب الشك طغى على الأكاديمية؛ إلى أن خلصتها منه نهضة لم تلبث أن تلاشت.

(ب) ولهذا الدور فضل كبير على العلوم والصناعات فقد كان القرن الثالث قبل الميلاد من أخصب عصور العلم القديم؛ نشأ فيه إخصائيون عنوا بتمحيص المعارف

الموروثة وتهذيبها والزيادة عليها، وتوالى العمل على هذا المنوال إلى نهاية العصر القديم، نذكر في الرياضيات من رجال هذا القرن الثالث: إقليدس (٣٣٠-٢٧٠) صاحب «مبادئ الهندسة» جمعها ورتبها وعلم بالإسكندرية، وأرشميدس السراقوسي (٢٨٧-٢١٢) جاء الإسكندرية في شبابه ولكنه قضى معظم حياته في وطنه، كان يجمع بين النظر والعمل، له أبحاث عويصة في الرياضيات، وله اختراعات كثيرة منها آلات حربية ومراميا محرقة وآلة سماوية تمثل الحركات الظاهرة للأفلاك بدقة عجيبة، وأرسطرخوس الساموسي الفلكي الكبير قال: إن الشمس مركز العالم (١٤-ب).

ومن رجال القرن الثاني للميلاد ثاون الأزميري وأقلاديوس بطليموس عرضا العلم في الصورة التي كان قد بلغ إليها في عصرهما، والثاني مشهور بكتاب «المجسطي» — بكسر الميم والجيم وتخفيف الياء — وهو أول كتاب دَوَّن كل فروع علم الفلك القديم، نقل إلى العربية، وكان المرجع الأكبر في هذا العلم، واللفظ اليوناني «مجسطوس» يعني العظيم وترجمة العنوان الكامل «التصنيف التعليمي العظيم»<sup>١</sup>. وتقدم الطب كذلك، ورجاله فرق: منهم العقليون أتباع أبقرات، ومنهم التجريبيون، ومنهم الانتخابيون، وأشهر هؤلاء جالينوس البرغامي — القرن الثاني للميلاد — اشتغل أيضًا بالمنطق، وجعل أشكال القياس أربعة على حسب مكان الحد الأوسط فيه (٥٠-ب)، ولخص محاورات أفلاطون، ونقل السريان والإسلاميون تلخيصاته، وتقدمت الجغرافية بالرحلات، وأشهر رجالها استرابون وأبليينوس الكبير، وشاع التنجيم والسحر بين العلماء والفلاسفة، وبالجملة تكونت العلوم في هذا الدور وبقيت كتبها معتبرة يتناقلها الشرقيون والغربيون إلى النهضة الحديثة.

<sup>١</sup> انظر نلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب ص ٢٢١-٢٢٤.